سوسيولوجية الفن

م .عباس حاكم حسين

ABBAS HAKIM HUSSEIN ALWAWI

ABAS .ALgoboree@gmail. Com

جامعة بابل – كلية التربية للعلوم الانسانية

الملخص :

تتلخص المقالة العلمية (سوسولوجية الفن) التي تلخص بدايات الفن في العالم منذ بداية تكوينه حيث لم يكن فنانا بالمعنى الذي يحمله اليوم عندما كان الانسان يصنع ادواته بنفسه لتعينة على العيش بالحياة اليومية الصعبة والقاسية منذ العصر الحجري ثم العصر الحجري الوسيط وعيش الانسان قرب الانهار واستخدامه للطين في صناعة الفخار لحفظ الطعام وعند الاغريق والرومان بات الفن يمثل صناعة أو حرفة يمتهنها الصانعون ، فرسوماتهم ماهي الامؤشر لتقاليد حرفية يتعلمها الفنان ، اي ارتبط الفن هنا في هذه المرحلة بالطبقة العاملة أو البسيطة لغاية القرن الرابع عشر ضهرت بداية التجمعات اشبه مايكون بالنقابات الحرفية من رسامين ونحاتين ومعماريين . ثم جاء عصر النهضة حيث ضهر الفن المرئي ، أما القرن الثامن عشر تطور الفن الذي ساد الفترة في اوربا ثقافيا اصبح الفانون يلعبون الدور الابرز في الحياة واصلاح المجتمع .ثم تطرق الباحث الى تعريفات الفن عند النقاد والفلاسفة ، ارسطو ، كانت ،اليوت تين ، بونالد ، ثم عند الماركسيين ، ثم في المانيا ومدرسة فرانكفورت وختم المقال بمؤلفات الكتاب والنقاد الغربيين حول علاقة الفن والمجتمع .ثم المصادر والمراجع باللغة العربية .

Summary

The scientific article (Sociology of Art), which summarizes the beginnings of art in the world from the beginning of its formation, is summarized as an artist in the sense that it holds today when a person was making his own tools to aid in living the difficult and harsh daily life since the Stone Age and then the Middle Stone Age and the human life near rivers and the use of clay In the manufacture of pottery to preserve food, and for the Greeks and Romans, art has become an industry or craft that the manufacturers take for granted. Their drawings are the indications for literal traditions learned by the artist, meaning that art here at this stage was related to the working

class or the simple until the fourteenth century. It is more like a craft union than painters, sculptors, and architects. Then came the Renaissance, when visual art appeared. As for the eighteenth century the development of art that prevailed in Europe culturally, artists became the most prominent role in life and the reform of society. Then the researcher touched on the definitions of art among critics and philosophers, Aristotle, Kant, Elliot Tin, Bonald Then to the Marxists, then to Germany and the Frankfurt School, the article was concluded with the writings of Western writers and critics on the relationship of art and society. Then the sources and references are in the Arabic language.

من المعروف ان لم تكن في مراحل الانسان الاول وحياته فن بالمعنى الحرفي أو ماهو متعارف علية الان ، بل كان هنالك استكشافات لوسائل وأصوات تعيين الانسان الولى على حياته وبعد ذاك بدأ شيئا فشيئا بنشوء الوعي الخلاق لدى الانسان الاول اذ بدأ في صنع ادواته وهو لم يصنعها الا معرفته بنفعها ، اي هنا بدأت مرحلة المحاكاة للطبيعة من خلال احتياجه ، ومن تلك الصناعات التي اقدم عليها هي صناعة التماثيل وتقليده لصوت الحيوانات كي تقع فريسه بيده . وبعد ذاك أصبحت معرفة الرمز او الاسم تعني امتلاك المرموز له او المسمى بذلك الاسم والسيطرة عليه . (١) نأتي لنرى مايقوله ارنست فيشر عن بداية معرفة الانسان للفن والعلاقة بينهما يقول ارنست فيشر وهو من نقاد الفن الاجتماعيين في العصر الراهن ((ان عمر الفن يوشك أن يكون هو عمر الانسان)) نلاحظ انه يوجد في هذا القول ثلاثة فروع وهي عمر الفن أي نشأته وعمر الانسان أي حياته الانسانية والرابطة التي تربط مابين هذين الفرعين (الفن والانسان) فالانسان انما هو عقل ويد .(٢) ونستنتج من ذلك ان الانسان أول مابدأ يستكشف في يده وبعدما تلمس الاشياء بدأ يعرفها بعقله وبذلك تكون لدى الانسان الاول معرفة مباشرة .

وعندما نتتبع العصور القديمة لمعرفة بدايات تعامل الانسان مع الاشياء ووصوله الى بدايات الفن الاولى نرى عندما جاء العصر الحجري الوسيط وسكن الانسان قرب الانهار واستخدامه للطين في صناعة الفخار لحفظ الطعام ، لدوام حياتة اليومية . وعندما ناتي الى عصر الاغريق والرومان بات الفن يمثل صناعة او حرفة يمتهنها الصانعون ، فرسوماتهم ماهي الا مؤشر لتقاليد حرفية يتعلمها الفنان ، نجد ان الفن ارتبط في هذه المرحلة بالطبقة العاملة أو البسيطه وهكذا بدأت معرفة الفن بالمعنى المستقل عن حاجة الانسان اليومية . وبعد ذلك كانت هنالك اشارات بسيطة لمعرفة الفن البسيط وتقوى هذه الاشارات للتحول الى علامات اذا انتقلنا الى القرن الرابع عشر كانت بداية التجمعات التي باتت تشكل اشبه مايكون بالنقابات الحرفية من رسامين ونحاتين ومعماريين وبدأت

عملية السفر من مكان الى اخر بحثا عن الخبره في مجال الحرفة او الصنعة ، اذ ظهرت في القرون الوسطى فنونا عدة منها الحساب والهندسة والمنطق (٣)

وصولا الى عصر النهضة ظهرت خطوة اكثر تقدما وهي ظهور(الفن المرئي) او الحرفية وكيفية نقلها وادراجها داخل عصر امتاز بوجود الة صناعية ،وبعد مجيئ القرن السادس عشر وفي نهاياته اصبح الفن مقننا حيث اقترب من الجو الكاديمي لوج د المنهج ، أما في القرن الثامن عشر حيث ساد التطور الثقافي في اوربا ثقافيا ، اصبح الفانون يلعبون الدور الابرز في الحياة واصلاح المجتمع ، اما في المجتمعات الاسيوية فالدين والطقوس الدينية لعبت الدور الابرز في بلورة فنونهم سواء في الرسم أو النحت ، وعندما نصل الى القرن العشرين نجد ان هنالك عوامل عديدة ظهرت ادت الى ظهور فن اكثر تطورا من العصور الاخرى ومن هذه العوامل الاقتصادي والتطور التكنلوجي والتنوع الكبير والحراك الاجتماعي اذ ساد فن عموم الناس ولم يكن الفن فرديا بل جماعيا (٤) لذلك اصبح هم الفن البحث عن الربح والابتعاد عن الخسارة ، وفي منتصف القرن العشرين حصل تطور في شتى ميادين المعرفة وعلى صعيد العلوم الاخرى ومنها علم النفس بشكل ارتبط بالحركات الفنية كوسيلة للمعالجة الفنية . وبعد هذا الاستعراض لمسيرة الفن عبر العصور . يتطرق الباحث الى تعريفات لماهية الفن يقول ارسطو (نجد ان الفن ينبعث من الدوافع أو ذات الفرد رغبة منه بالتعبير العاطفي أما وظيفته فهي تطهر العواطف والمشاعر)(٥)

أما كانت فيختلف عن وصف ارسطو للفن فيجد ان الفن هو تمثيل للخبرة الحسية على شكل ادراك للزمن والمكان ، فالفن هو ميدان لاقامة تجارب تتسم بروح الجمالية ، (ويعد شارل لالو وفلدمان أول من اطلق اسم علم الجمال الاجتماعي . على ذلك الفرع من الدراسة الذي يدخل في موضوع دراسة علم الاجتماع الجمالي) (٦) هنالك من يربط الفن بالمجمع ويقول بان الفن الفن لصيق بالبيئة التي نشأ منها ومنهم(بونالد) يجد ان الفن تعبير عن المجتمع وعند مجيئ النظرية الماركسية يجدون أن الفن تعبير عن المجتمع وماهو اي الفن تعبير عن الواقع الاجتماعي والاقتصادي . (٧) اما رأي الكاتب والناقد الفرنسي (اليوت تين HIPPOLXE TAIN) من المنادين بالنظرية السوسيولوجية فقد درس ظاهرة الفن بصفته عملية اجتماعية ونادى بان الفن هو ((نتاج مباشر للقوى الاجتماعية بل ويمكن التنبؤبه)) (٨) وهو بذلك يؤيد ان الفن تعبير عن المجتمع . أما راي الماركسيين ان الفن ماهو الا تعبير عن المجتمع والبيئة التي يعيش فيها الفنان ويجدون ان عملية الابداع الفني ماهي الا افراز الواقع الاجتماعي والاقتصادي والتي نجد بصماتها واضحة . ويؤكد الماركسيين على قاعدة مهمة لديهم وهي ان الفن عبارة عن بناءا فوقيا وتمثيل للبناء التحتي (اي المجتمع) ومن هذا المنطلق نجد ان الماركسيين قد

اخضعوا الفن الى اولويات مادية سوءا من حيث الطبيعة أو الوظيفة واسمه (الواقعية الاشتراكية) . (٩) ويتتبع الباحث في سوسولوجيا الفن وتنظيرات الكتاب والنقاد في القرن الثامن عشر والقرن العشرين وننتقل الى المانيا تم تأسيس معهد الاتجاهات الاجتماعية بشكل رسمي في شباط (١٩٢٣) ، في مدينة فرانكفورت بالمانيا وتولى الاشراف عليه كارل غروبرنج (١٨٦١-١٩٤٠) الى جانب أدلر واتو باور ، وأرست المدرسة مفهوما جديدا يقوم على الفلسفة الاجتماعية ومن أهم منطلقات المنهج الاجتماعي فنيا هي (١٠)

الادب ظاهرة اجتماعية .

الاديب لاينتج أدبا لنفسه وانما لمجتمعه .

القارئ حاضر في ذهن الاديب وهو وسيلته وغايته منذ تفكير الاديب في الكتابة وفي اثناء ممارستها وعقب انتهائه منها .

الاديب يعبر عن افكار طبقته وهمومها ومواقفها .

ومن خلال ماتقدم لما استعرضناه عن تناول الكتاب والنقاد لماهية الفن الاجتماعية في العالم الغربي فلابد من خلفيات انطلق منها واخذ منا واكد عليها واضاف اليها وتداخل معها أو قد حذف منها النقاد والكتاب في العالمين الغربي والعربي فيما بعد ويجب ان نورد في هذه الجزئية من المقالة للخلفيات الفكرية لعلم اجتماع الفن او الفن الاجتماعي او الذي يعرف بسوسولوجية الفن لمؤلفات وكتابات واعمال النقاد في اغلب دول العالم الغربي .

اهم الخلفيات الفكرية ودرجات علم اجتماع الفن (١١)

كتابات (كارل ماركس) وعلاقة الفن بالمجتمع ، فنظام الانتاج يحدد المضمون الخاص بالفنون .

فلسفة الفن عند(هيبوليت تين) وكتابة (تأريخ الادب الانجليزي) ١٩٧١ وذكريات العمل الفني تعود بواسطة جملة من العوامل تمثل الحالة العقلية العامة والظروف المحيطة

العالم الفرنسي (جان ماري جيو) وكتابه الفن من وجهة نظر علم الاجتماع ، ١٨٨٧ من التكامل الاجتماعي بتجسيد في الاعمال الفنية ، وان الفن العظيم اجتماعي بالظرورة .

مولفات (مدام دي ستيل) وخاصة كتاب (عند الادب من حيث علاقاته بالنظم الاجتماعية) عام ١٨٠٠ وتناول علاقة الفرد بالمناخ والاساليب الادبية واثار الدين والمرأة على الفن .

فلسفة الفن عند (هربرت سبنسر) وتفسيره لاصل الاحساس الجمالي .

ومن الدراسات الحديثة هي دراسة (شارل لالو) (الفن والحياة الاجتماعية) (وليفن شوكنج اجتماع التذوق الفني) وكذلك من الدراسات المهمة هي دراسة (سوروكين الديناميات الاجتماعية والثقافية) .

تبني (أرنست جروس) التفسير المادي للتاريخ في دراسة الفن من خلال كتابه (بدايات الفن ، ١٨٩٣) ويجد ان الفن يعكس مرحلة التنظيم الاقتصادي التي يعيش فيها المجتمع .

وبهذا الاستطراد الريع الذي قمنا به نجد ان الفن اجتماعي بامتياز اذ لايمكن للفنان او الكاتب او الفيلسوف ان ينسلخ من البيئة التي يعيش فيها والمجتمع الذي ترعرع فيه ويكون ذلك واضحا وجليا في انتاجه الفني او الادبي من حيث يشعر او لايشعر وهذا ماكدت علية الدراسات السابقة التي استعرضناها .

المصادر والمرجع:

ينظر : عز الدين اسماعيل : الفن والانسان ، سلسلة الاعمال الفكرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،٢٠٠٣ ، ص ١٧ .

ينظر : عز الدين اسماعيل : المصدر السابق نفسه ، ص ١٨-١٩ .

ينظر : معن خليل العمر : علم اجتماع الفن : ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٠، ص ١٣-١٥ .

ينظر عدنان رشيد : دراسات في علم الجمال ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص ١٤٣-٢٠٩ .

ينظر راوية عبد المنعم عباس : الحس الجمالي وتأريخ الفن ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٨ ، ص ٥٧ .

راوية عبد المنعم : الحس الجمالي وتاريخ الفن : مصدر سابق ، ص٣٢٠ .

ينظر: حسن مسلم حسب حسن : جماليات النص الادبي ، دار السياب ، لندن ، ٢٠٠٧ ، ص ١٩ .

محمد شبل الكوفي : المذاهب النقدية الحديثة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ص ١٨٥ .

مسلم حسب حسن : جماليات النص الادبي ، مصدر سابق ، ص ١٩ .

عماد علي سليم الخطيب : في الادب الحديث ونقده ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان ، ٢٠٠٩ ، ص٢٥٧ .

مجموعة مؤلفين : دراسة علم الاجتماع ، ط٣ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص٤٤٩-٤٥٣ .